
العلاج النفسي
في القرآن الكريم
ابراهيم النعمة

العلاج النفسـي
في القرآن الكريم

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@hotmail.com
www.almamoun-jo.com

إبراهيم النعمة

العلاج النفسـي
في القرآن الكريم



بسم الـلـه الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمداً يبلغني رضاه والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، و على آله الطيبين، وصحبه المخلصين، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن التقدم الحضاري في كل جانب من جوانب الحياة في العالم خطا خطوات واسعة، فخلص الإنسان من كثير مما كان يعانيه من الإرهاق البدني والتعب والنصب.. ولكن هذا العلم لم يتمكن إلى يوم الناس هذا من أن يخلص الإنسان مما يعانيه من (التيه) و (الضياع) و (الشقاء) والأمراض النفسية التي كثر صرعاها، وازدادت زيادة مذهلة – وبخاصة في قرننا العشرين – ولقد فتش الناس عن الدواء الناجع الذي يستأصل الداء أو يقلل من صرعاه على أقل تقدير فلم يجدوه، على الرغم من التقدم الحضاري الذي ضرب إطنابه في كل جانب من جوانب الحياة.

وهذا البحث المتواضع يتحدث في (العلاج النفسي في القرآن الكريم) الذي غفل عنه الكثير من الباحثين والعلماء النفسيين. وقد اتجه بعض من علماء الطب الحديث إلى الاهتمام به، بعد أن أخفق الطب الحديث

ووقف عاجزاً أمام ذلك الداء العضال الذي باتت تشكو من ويلاته مجتمعات كثيرة هنا وهناك، وبخاصة المجتمعات التي ضربت بسهم وافر في التقدم الحضاري المادي.

و اللـه اسأل أن يجعل عملي هذا وغيره من الأعمال خالصاً لوجهه الكريم. و اللـه يقول الحق ومنه -وحده- الهداية والسداد.

إبراهيم النعمة

العلاج النفسي في القرآن الكريم

للقرآن الكريم قوة روحية تؤثر تأثيراً كبيراً في النفس الإنسانية. ولا عجب فإنه كلام الله الذي استطاع في فترة وجيزة من الزمن إن يغير طبائع الناس وسلوكهم وطريقة تفكيرهم. وقد نص الله -عز وجل- على أنه شفاء ورحمة وهدى للمؤمنين وانه يهدي للتي هي أقوم. قال تعالى:

(**وَنُنَزِّلُ** مِنْ **الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاّ خَسَارًا**) سورة الإسراء /82.

(**يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**) سورة يونس /57.

(**إِنَّ** هَذَا **الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**) سورة الإسراء /9.

وهذه الآيات الكريمات تحدد أثر القرآن في نفوس الناس: فهو لمن آمن به هداية تهديه إلى الصراط المستقيم، فتتخلص نفسه من الحقد والغل، والحسد والأثرة، والاعوجاج في السلوك... وهكذا يصح البدن إذا صحت النفس. وصحة النفس تكون في صفائها

ونقائها، فيكون القرآن شفاءاً للنفس ورحمة لها ونعمة عليها.

لقد كانت الجهود التي بذلت في الدراسات النفسية كثيرة كثيرة. وظهرت أساليب مختلفة في العلاج النفسي.. بيد أن هذه الدراسات لم تحقق النجاح المرجو في القضاء على الأمراض النفسية، بل إن هذه الأمراض يزداد صرعاها يوماً بعد يوم، كما أن الدراسات - أيضاً - لم تحقق نجاحاً كبيراً في الوقاية من تلك الأمراض النفسية: (فقد بينت بعض الدراسات أن معدلات الشفاء بين المرضى النفسيين الذين يعالجون بطريقة التحليل النفسي تتراوح بين 60% و64% وهي معدلات غير مرضية إذا أخذنا في اعتبارنا أن معدلات المرضى النفسيين الذين يتخلصون من أمراضهم من غير أن يتلقوا أي علاج نفسي تتراوح بين 44% و66%. أضف إلى ذلك أن بعض المرضى كانت تسوء حالتهم بعد العلاج النفسي. وفي دراسة أخرى تبين أن المرضى النفسيين من المجموعة الضابطة التي لم يتلق أفرادها أي علاج نفسي قد أظهروا تحسناً مساوياً للتحسن الذي أظهره المرضى الذين عولجوا نفسياً. كما بينت

الدراسة – أيضاً – أن بعض هؤلاء المرضى الذين عولجوا قد ازدادت حالتهم سوءاً)[1].

ويقول الدكتور (الكسيس كاريل) الحائز على جائزة (نوبل):

(من العجيب أن الأمراض العقلية أكبر عدداً من جميع الأمراض الأخرى مجتمعة. ولهذا فإن مستشفيات المجاذيب تعج بنزلائها، وتعجز عن استقبال جميع الذين يجب حجزهم... ويقول س.وبيرس: (إن شخصاً من كل 22 شخصاً من سكان نيويورك يجب إدخاله أحد مستشفيات الأمراض العقلية بين آن و آخر))[2].

لقد أخفق علماء النفس في معالجة تلك الأمراض التي انتشرت في المجتمعات الغربية انتشارا واسعاً، وأخذت بتلابيبه وضيقت عليه الخناق. ولكن ما سبب ذلك الإخفاق؟

---

(1) علم الأمراض النفسية والعقلية تأليف ريتشارد م.شوين ص864 ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة. دار النهضة= العربية /القاهرة 1979. انظر: القرآن وعلم النفس للدكتور محمد عثمان نجاتي ص238. الطبعة الأولى 1402هـ-1982م. دار الشروق /بيروت – القاهرة.

(2) الإيمان والحياة للأستاذ يوسف القرضاوي ص324. الطبعة الخامسة 1977. مطبعة الاستقلال /القاهرة.

الإيمان أولاً

يجيب عن ذلك الدكتور (بول أرنست أدولف) الأستاذ المساعد في التشريح بجامعة (سانت جونس)، وعضو جمعية الجراحين الأمريكيين فيقول:

(إن كثيراً من المشتغلين بالعلاج النفسي قد ينجحون في تقصي أسباب الاضطراب النفسي الذي يسبب المرض، ولكنهم يخفقون في معالجة الاضطرابات، لأنهم لا يلجأون في علاجها إلى بث الإيمان باللـه في نفوس هؤلاء المرضى)[1].

ولعل اتجاه علماء النفس نحو تبني نظرة الدين في علاج الأمراض النفسية أو الوقاية منها قد ازداد يوماً بعد يوم بسبب ذلك. فإن الإيمان الصحيح باللـه يمد الإنسان بقوة عظيمة وطاقة روحية هائلة، تجعله يقف بقوة وحزم أمام ما يلاقيه من مشقات الحياة، وتجنبه – في الوقت نفسه – ذلك القلق الذي صار سمة من سمات هذا العصر. يقول المحلل النفسي كارل يونج Carl G.Jung:

---

(1) اللـه يتجلى في عصر العلم تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين ص137 الطبعة الثالثة 1968 ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان.

(استشارني في خلال الأعوام الثلاثين الماضية أناس من مختلف شعوب العالم المتحضرة، وعالجت مئات كثيرة من المرضى.. فلم أجد واحداً من مرضاي الذين كانوا في المنتصف الثاني من عمرهم – أي جاوزوا سن الخامسة والثلاثين – من لم تكن مشكلته في أساسها: هي افتقاره إلى وجهة نظر دينية في الحياة. وأستطيع أن أقول: إن كل واحد منهم قد وقع فريسة المرض، لأنه فقد ذلك الشيء الذي تمنحه الأديان القائمة في كل عصر لإتباعها، وإنه لم يتم شفاء أحد منهم حقيقة إلا بعد أن استعاد نظرته الدينية في الحياة)[1].

ويقول المحلل النفسي أ.أ.بريل A.A. Brill

(إن المرء المتدين حقاً لا يعاني قط مرضاً نفسياً)[2].

(1) القرآن وعلم النفس ص240 نقلاً عن

Carl.G.jung: Modern Man in Search of Asoul London: Routledge Kegan Paul.Lid 1966,p.264.

(2) دع القلق وأبدأ الحياة تأليف ديل كارينجي ص286 ترجمة عبد المنعم الزيادي، الطبعة الخامسة. مكتبة الخانجي /القاهرة.

وذكر عالم النفس الأمريكي (هنري لينك) في كتابه (العودة إلى الإيمان): أنه وجد نتيجة خبرته الطويلة في تطبيق الاختبارات النفسية على العمل في عملية الاختبار المهني والتوجيه المهني، ان الأشخاص المتدينين والذين يترددون على دور العبادة يتمتعون بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين لهم، أو لا يقومون بأية عبادة[1].

ويقول الدكتور (بول أرنست أدولف):

(لقد أيقنت أن العلاج الحقيقي لا بد أن يشمل الروح والجسم معاً في وقت واحد، وأدركت أن من واجبي أن أطبق معلوماتي الطبية والجراحية إلى جانب إيماني بالله وعلمي به. ولقد أقمت تلك الناحيتين على أساس قويم. بهذه الطريقة وحدها استطعت أن أقدم لمرضاي العلاج الكامل الذي يحتاجون إليه. ولقد وجدت بعد تدبر عميق أن معلوماتي الطبية وعقيدتي في الله هما الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه الفلسفة الطبية الحديثة... ولقد وجدت في أثناء ممارستي للطب أن تسلحي بالنواحي الروحية إلى جانب إلمامي بالمادة العلمية يمكنني من معالجة جميع الأمراض علاجاً يتسم

(1) الإيمان والحياة ص342.

بالبركة الحقيقية. أما إذا أبعد الإنسان ربه عن هذا المحيط، فإن محاولاته لا تكون إلا نصف العلاج، بل قد لا تبلغ هذا القدر)[1].

ونشرت جريدة (الجمهورية) القاهرية تحت عنوان (العلماء يلجأون إلى الدين لعلاج مرضى الأمراض العقلية) قالت:

(لقد بدأت التجربة في مستشفى بولاية نيويورك وهو مستشفى خاص بمرتكبي الجرائم من المصابين بالأمراض العقلية. بدأت التجربة بإدخال الدين كوسيلة جديدة للعلاج بجانب الصدمات الكهربائية لخلايا المخ، والعقاقير المسكنة والمهدئة للأعصاب. وكانت النتيجة رائعة.. إن أولئك الذين تعذر شفاؤهم.. بل فقدوا الأمل فيه، انتقلوا من عالم المجانين إلى عالم العقلاء.. أولئك الذين ارتكبوا أفظع الجرائم وهم مسلوبو الإرادة باتوا يسيطرون على إرادتهم وتفكيرهم وتصرفهم، ويذرفون الدمع ندماً، وكلهم أمل في رحمة الله ومغفرته)[2].

ويقول الدكتور (الكسيس كاريل):

---

(1) الله يتجلى في عصر العلم ص138.

(2) الإيمان والحياة ص347-348.

(لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت إلى يومنا هذا. وقد رأيت – بوصفي طبيباً – كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم، فلما رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم).

ويقول:

(إن الصلاة كمعدن (الراديوم) مصدر للإشعاع، ومولد ذاتي للنشاط، وبالصلاة يسعى الناس إلى استزادة نشاطهم المحدود، حين يخاطبون القوة التي لا يفنى نشاطها)[1].

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي:

(إن في فطرة الإنسان فراغاً لا يملؤه علم، ولا ثقافة ولا فلسفة، إنما يملؤه الإيمان بالله -جلَّ وعلا-. وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ، حتى تجد الله، وتؤمن به وتتوجه إليه)[2].

ولم يكن علماء النفس والمحللون النفسيون والأطباء والعلماء هم الذين توصلوا إلى هذه الحقيقة وحدهم، بل نجد عدداً ليس بالقليل من المفكرين الغربيين المعاصرين ذهبوا هذا المذهب. فهذا المؤرخ

---

(1) الإيمان والحياة ص292.

(2) الإيمان والحياة ص86.

(ارنولـد تـوينبي) A.Toynbee ذكـر: (إن الأزمـة التـي يعـاني منهـا الأوربيـون في العـصر الحـديث، إنمـا ترجـع في أساسـها إلى الفقـر الروحي، وأن العلاج الوحيـد لهـذا التمـزق الـذي يعـانون منـه هـو الرجوع إلى الدين)[1].

وننظر في الإسلام، فنرى أن الإيمان باللـه الذي يملأ قلب المسلم منذ الصغر يكسبه مناعة من الإصابة بالأمراض النفـسية: فـلا يكـون بحاجة إلى هذا أو ذلك من العلاج النفسي.

والقرآن الكريم يشير بكل صراحة إلى أن الإيمان الصحيح باللـه يبعث (الأمن) و (الطمأنينـة) و (الـسكون) في نفـس المـؤمن، يقـول اللـه – عز وجل- :

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُـمْ الأمْـنُ وَهُـمْ مُهْتَدُونَ) سورة الأنعام /82.

(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللـه أَلا بِذِكْرِ اللـه تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) سورة الرعد /28.

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًـا مَـعَ إِيمَانِهِمْ) سورة الفتح /4.

---

(1) مفاهيم العلوم الاجتماعيـة والـنفس في ضـوء الإسـلام تـأليف الأسـتاذ أنـور الجندي ص195 بتصرف /دار الاعتصام /القاهرة.

واطمئنان النفس مصدره الإيمان بالله واليوم الأخر. وليس المراد به استسلام النفس أو استكانتها، أو هربها من الحياة، وإنما المراد به: الرضى بما يقع – بعد أن يأخذ بالأسباب -.

وهكذا يشعر المؤمن بالسعادة الحقيقية إذا كان قلبه عامراً بالإيمان الخالص من الشوائب الذي لا يكدره مكدر. يقول العلامة (ابن قيم الجوزية) رحمه الله:

(في القلب شَعَثٌ لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً)[1].

سكينة النفس

---

(1) الإيمان والحياة ص87.

فلا نعجب إذا علمنا أن أكثر الناس قلقاً واضطرابا: هـم أولئـك الذين لم يلامس الإيمان شغاف قلوبهم.. أولئك الذين حرموا من بـرد اليقين: فهم لا يـدركون للحيـاة معنـى، ولا يـشعرون بلـذتها – ولـو كانت غاصة بوسائل الرفاهية كلها – يقول طبيب أمريكي لامع:

(وضعت مرةً وأنا شاب جـدولاً لطيبـات الحيـاة المعـترف بهـا، فكتبت هذا البيان بالرغائب الدنيويـة: الـصحة، والحـب، والموهبـة، والقوة، والثراء، والشهرة، ثم تقـدمت بهـا في زهـو إلى شـيخ حكـيم، فقال صديقي الشيخ: جدول بديع، وهو موضوع على ترتيب لا بأس به، ولكن يبدو لي أنك أغفلـت العنـصر المهـم الـذي يعـود جـدولك بدونه عبثاً لا يطاق، وضرب بالقلم على الجدول كلـه، وكتـب كلمـة (سكينة النفس): وقال: هذه الهبـة التـي يـدخرها اللـــه لأصـفيائه، وإنه ليعطي الكثيرين الذكاء والصحة، والمال مبتذل وليست الـشهرة بنادرة، أما سكينة القلب، فإنه يمنحها بقدر)[1].

وننظر في المؤمن الصحيح الإيمان مرة أخرى، فنجده إنساناً قوياً في نفسه، لا يخاف شيئاً في هذه

---

(1) الإيمان والحياة ص83

الحياة، لأنه يؤمن الإيمان الحق أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما اخطأه لم يكن ليصيبه وأنه لا يصيبه الشر أو الأذى إلا بمشيئة اللـه. وهكذا لا يتملك الإنسان المسلم الخوف. ويدل على هذا دلالة واضحة قول اللـه تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنا اللـه ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) سورة فصلت /30-32.

وقوله – عز وجل: -

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللـه ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة الأحقاف /13.

ذكر الـلـه

ومن وسائل العلاج النفسي في القرآن الكريم ذكر الـلـه والتأمل في عظمته، وتـصور قدرتـه. وقـد أمـر الـلــه بـذلك في القـرآن فقـال تعالى:

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اذْكُـرُوا الـلــه ذِكْـرًا كَثِـيرًا، وَسَـبِّحُوهُ بُكْـرَةً وَأَصِيلا) سورة الأحزاب /41-42.

وقال:

(وَالذَّاكِرِينَ الـلـه كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ الـلـه لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْـرًا عَظِيمًا) سورة الأحزاب /35.

ولقد صرح القرآن الكريم بأن الإعراض عن ذكر الـلـه يؤدي إلى شقاء الإنسان في الدنيا قبل الآخرة قال تعالى:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَـإِنَّ لَـهُ مَعِيـشَةً ضَـنكًا وَنَحْـشُرُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) سورة طه /124.

وقال تعالى:

(وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَـهُ قَـرِينٌ، وَإِنَّهُـمْ لَيَـصُدُّونَهُمْ عَـنْ الـسَّبِيلِ وَيَحْـسَبُونَ أَنَّهُـمْ مُهْتَـدُونَ) سـورة الزخرف /36-37.

ويؤكد القرآن هذا المعنى فيقول:

(وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا الـلـه فَأَنْـسَاهُمْ أَنْفُـسَهُمْ أُوْلَئِـكَ هُـمْ الْفَاسِقُونَ) سورة الحشر /19.

إن الذي يذكر الـلـه ويتأمل في عظمتـه ويتـصور قدرتـه، يلـين قلبه ويخشع فؤاده، ويطـأطئ رأسـه، فـلا يـصدر عنـه مـن الأقـوال والأعمال إلا ما فيه الخير والصلاح. وهكذا تسري الطمأنينة في نفسه، ولا يكون للهم والقلق إلى قلبه سبيل. وبهـذا يـتخلص مـن الأمـراض النفسية والجسدية التي قد يصاب بها، ذلـك أنّ الاسـتغراق في الهـم والقلق يؤدي إلى إضعاف وظائف الجسم، فيبـتلى صـاحبها بـأمراض جسدية كثيرة، فوق إصابته بالأمراض النفسية.

الإيمان والصبر

والمؤمن الصحيح الإيمان يصبر ولا يجزع إذا حلت به مصيبة أو نزلت به كارثة، فإنه (يتلقى المكاره بالقبول، ويراها من عنـد الـلــه, وعند التأمل نرى العناية الإلهية تسوق إلينا الشدائد لحكمة عاليـة. والجاهل هو الذي يـضجر ويحـزن ويكتئـب. أمـا العاقـل، فيـتلمس وجوه الخير فيما يبتليه الـلـه من الشدائد)[1].

(1) التصوف الإسلامي للدكتور زكي مبارك 149/2. وانظر: روح الدين الإسلامي تأليف عفيف عبـد الفتـاح

ولقد أحب اللـه الصابرين ومدحهم، وأعلن ما اعـدّ لهـم يـوم القيامة، فقال تعالى:

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ) سورة البقرة /155-157.

ويبدو من هذه الآيات: أن الصابرين زودوا بثلاث خصال:

صلوات اللـه عليهم: أي ثناؤه تعالى عليهم، ورحمتـه بهـم بما وضعه في المصيبة من لطف وإحسان، وشهادة لهم من اللـه بـأنهم على الحق والصواب وانهم مهتدون، فيلاقون المصيبة برباطـة جـأش وعدم جزع.

وقال تعالى:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنْ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ، الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) سورة العنكبوت /58-59.

طبارة ص207. الطبعة الثامنة 1389 هـ /دار العلم للملايين. بيروت.

(وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سورة النحل /96.

(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) سورة الزمر /10.

(وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) سورة الإنسان /12.

والصبر قوة عظيمة يستعين بها المسلم فيما يلاقيه من نكبات الزمن ومشقات الطريق لذلك أمر الحكيم الخبير المؤمنين أن يستعينوا به في حياتهم فقال تعالى:

(وَاستَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ) سورة البقرة /45.

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللـه مَعَ الصَّابِرِينَ) سورة البقرة /153.

وأما أحاديث رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فيما أعده للصابرين فكثيرة كثيرة، منها ما رواه أبو هريرة - رضي اللـه عنه - أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قال: يقول اللـه تعالى: [ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة])[1].

---

(1) رواه البخاري في كتاب الرقاق (باب: العمل الذي يبتغى به وجه اللـه تعالى).

وعن أنس -رضي اللـه عنه- قال: سمعت رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يقول: إن اللـه -عز وجل- قال: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة)[1].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة -رضي اللـه عنهما- عن النبي صلى اللـه عليه وسلم قال: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر اللـه بها من خطاياه)[2].

وعن أنس -رضي اللـه عنه- قال: قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : (إذا أراد اللـه بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد اللـه بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة).

وقال:

(إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن اللـه تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم: فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط)[3].

(1) رواه البخاري في كتاب المرضى (باب: فضل من ذهب بصره). والمراد بحبيبتيه: عيناه.

(2) رواه البخاري في كتاب المرضى (باب: ما جاء في كفارة المرض...)، ومسلم في كتاب البر، (باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن..).

(3) رواه الترمذي في كتاب الزهد (باب: ما جاء في الصبر على البلاء) رقم 2398.

وعن أبي هريرة -رضي الـلـه عنه- قال: قال رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم :

(ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الـلـه تعالى وما عليه خطيئة)[1].

وبالصبر وما أعد الـلـه للصابرين يتغلب المؤمن على الجزع، ويحتسب ما أصابه عند الـلـه، فيتخلص من الأمراض النفسية أو الجسدية التي تصيب غيره ممن لم يتحلّ بالصبر.

الرزق بيد الـلـه

ولما كان الإنسان مفطوراً على حب المال، فإنه يظل مشغولاً بجمعه والحفاظ عليه، وقد كثرت حوادث الانتحار والإصابة بالجنون والانهيار العصبي، وكثير من هذه الحالات سببه الاصطراع على الرزق، أو الطمع في زيادته، أو الكارثة بفقده. وقد جاء في إحصائية نشرتها مجلة (ليديز هوم

(1) رواه الترمذي في كتاب الزهد (باب: ما جاء في الصبر على البلاء) رقم 2401.

جورنال): (إن سبعين في المائة من القلق الذي يعانيه النـاس مرجعـه إلى المال)[1].

والمسلم يؤمن تمام الإيمان أن رزقه بيد الـلـه -وبيد الـلـه وحده- وانه تعالى هو الذي قسم الأرزاق بين الناس... إن هذا الاعتقاد لدى المسلم الحق يجعله شجاعاً لا يخشى الفقر، وكيف يخشاه وهو يتلو قول الـلـه تعالى:

(إِنَّ الـلـه هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) سورة الذاريات /58.

(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) سورة الذاريات /22.

(الـلـه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) سورة الرعد /26.

وهكذا يكون المؤمن آمناً على رزقه، مطمئناً إلى أن الـلـه -عـز وجل- لا يتركه يموت جوعاً... حتـى إن قـدر الـلــه عليـه أن تكـون يده ضيقة، فإنه راضٍ بما قدره الـلـه وقضاه -بعد أن يأخذ بأسـباب الرزق كلها- يقنـع بالقليـل الـذي لديـه ويحمـد الـلــه عـلى نعمـه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى.

---

(1) الإسـلام والعلـم الحـديث تـأليف عبـد الـرزاق نوفـل ص132. دار الإسـلام القاهرة – دار الكتاب العربي. بيروت.

أجل المؤمن

والمؤمن الصادق الإيمان يوقن أن له عمراً محدداً لا يزيد ولا ينقص: فلا يستطيع أحد أن يقدم من أجله ساعة أو يؤخره. قال تعالى:

(فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) سورة الأعراف /34.

(وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللـه نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللـه خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) سورة المنافقون /11.

المؤمن والموت

والمؤمن الصادق لا يخاف الموت ولا يخشاه، لأنه يعلم أين تصير نفسه بعد الموت، وأي شيء يقدم عليه: فهو ينظر إلى الموت على أنه حقيقة لا مفر منها.

يقول اللـه تعالى:

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) سورة آل عمران /185.

(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) سورة النساء /78.

(قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) سورة الجمعة /8.

ولقد فهم سلف هذه الأمة هذه العقيدة السليمة وآمنوا بها فعاشوا في كنف الطمأنينة والسكينة، ويتجلى شيء من ذلك بما كان من الحجاج بن يوسف الثقفي، فإنه لما هدد سعيد بن جبير بالموت، أجابه سعيد: لو علمت أن الموت والحياة في يدك ما عبدت إلها غيرك!

وبهذا الإيمان العميق يلقي المسلم عن كاهله هماً من أكبر الهموم: إنه الحرص على الحياة، لأنه يعلم أن الموت إنما هو انتقال من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي. ولقد قيل لأعرابي اشتد مرضه: إنك ستموت! فقال: وإلى أين يُذهب بي بعد الموت؟ قالوا: إلى الله: فقال: ويحكم! أخاف الذهاب إلى مَنْ لا أرى الخير إلا من عنده؟!

هكذا ينظر المؤمن إلى الموت على أنه انتقال من حياة إلى حياة، ومن دار إلى دار، وإن الإنسان حين يموت تنقطع نفسه عن بدنه فتصعد إلى الله. وما مثل النفس والجسد إلا كمثل الإنسان الذي أصاب ملابسه الدنس فنزعها، ويظل الإنسان حياً كما هو. النفس كالإنسان والجسد كملابس الإنسان. وقد روي أن أحد الذين عرفوا بالصلاح لما أحس بدنوِّ أجله قام فاغتسل وتطيب وصلى ركعتين. وبعد فترة وجيزة دخلوا

عليه فوجدوه قد مات وهو مستقبل القبلة، وعند رأسه ورقة كتب فيها هذه الأبيات:

قل لإخوان رأوني ميتاً
فبكوني ورثوني حزنا
أتظنون بأني ميتكم
ليس هذا الميت و الله أنا
أنا في الصور وهذا جسدي
كان ثوبي وقميصي زمنا
أنا عصفور وهذا قفصي
طرت عنه وبقى مرتهنا
أحمد الله الذي خلصني
وبنى لي في المعالي مسكنا
لا تظنوا الموت موتاً إنه
ليس إلا نقلة من هاهنا

الإيمان بالقضاء والقدر

والمؤمن الصادق الإيمان يؤمن بالقضاء والقدر. وإيمانه بذلك يجنبه الإصابة بالأمراض النفسية فهو يوقن أنّ ما يصيب الإنسان في هذه الحياة الدنيا إنما هو امتحان واختبار له، لذلك فهو يصبر ويتحمل الأذى ولا يجزع إذا مسه الشر، ولا يطغى إذا أصابه الخير. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كله له خير – وليس ذلـك لأحـد إلا للمؤمن – إن أصابته سراء شـكر فكـان خـيراً لـه، وإن أصـابته ضراء صبر فكان خيراً له)[1].

والمؤمن يقف هذا الموقف، لأنه يعلم أن ما قـدره اللـــه عـلى الإنسان ليس عبثاً، وإن المصائب التي تحل به هي في حقيقـةً الأمـر دروس يلقيها العليم الخبير عـلى بنـي الإنـسان، فتتهـذب نفوسـهم، ويذهب صدأ قلوبهم، وقد روي عن سيدنا عمر بن الخطـاب –رضي اللـه عنه– أنه قال:

(ما أصبت في دنياي بمصيبة إلا رأيت لله عليّ فيهـا ثـلاث نعـم: أنها لم تكن في ديني، وانها لم تكـن أكـبر منهـا، وأننـي لأرجـو ثـواب اللـه عليها)[2].

والمسلم يأخذ بالأسباب لئلا يقع المكروه، ولكن حين يقع يرضى بما وقع، وهذا الرضا يوصله إلى الراحة النفسية التي تدفع عنه أمراضاً عديدة ومصائب كثيرة: فإن عدم الصبر على المصيبة إنما هي مصيبة أخرى فوق مصيبته التي نزلت به. فإذا

---

(1) رواه مسلم في كتاب الزهد (باب: المؤمن أمره كله خير).

(2) انظـر كتابنـا إيماننـا الحـق بـين النظـر والـدليل ص275. الطبعـة الثانيـة 1405هـ-1985م. مطبعة الزهراء /الموصل.

خسر الإنسان في تجارته فقد يعتبر خسارته مصيبة، فإذا حزن على خسارته حزناً شديداً فتصير المصيبة مصيبتين: خسارة وألماً..!

ولقد أدرك كثير من المفكرين والفلاسفة الغربيين فائدة الرضا بالقضاء والقدر لدى المسلم فقال ف.س. بودلي تحت عنوان (عشت في جنة الله):

(في عام 1918 أوليت ظهري للعالم الذي عرفته طيلة حياتي، ويَمّمْتُ شطر أفريقيا الشمالية الغربية، حيث عشت بين الأعراب في الصحراء، وقضيت هناك سبعة أعوام، أتقنت خلالها لغة البدو: وكنت أرتدي زيهم ، واكل من طعامهم، واتخذ مظاهرهم في الحياة، وغدوت مثلهم، أمتلك أغناماً، وأنام كما ينامون في الخيام، وقد تعمقت في دراسة الإسلام، حتى انني الفت كتاباً عن محمد صلى الله عليه وسلم عنوانه (الرسول). وقد كانت تلك الأعوام التي قضيتها مع هؤلاء البدو الرحل من أمتع سني حياتي، واحفلها بالسلام والاطمئنان والرضا بالحياة.

وقد تعلمت من عرب الصحراء التغلب على القلق. فهم – بوصفهم مسلمين – يؤمنون بالقضاء والقدر. وقد ساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ الحياة مأخذاً سهلاً هيناً. فهم لا يلقون أنفسهم بين براثن الهم والقلق على أمر، وإنهم

يؤمنون بأن ما قدر يكون، وإنه لا يصيب الفرد منهم إلا ما كتب الله له. وليس معنى ذلك أنهم يتواكلون، أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي، كلا، ودعني أضرب مثلاً لما أعنيه:

(هبت ذات يوم عاصفة عاتية، حملت رمال الصحراء، وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط، ورمت بها وادي الرون في فرنسا، وكانت العاصفة حارة شديدة الحرارة، حتى أحسست كأن رأسي ينتزع من منابته لفرط وطأة الحر. وأحسست من فرط القيظ كأني مدفوع إلى الجنون، ولكن العرب لم يشكوا إطلاقاً، فقد هزوا أكتافهم وقالوا كلمتهم المأثورة (قضاء وقدر). ولكنهم ما إن مرت العاصفة حتى اندفعوا إلى العمل بنشاط كبير: فذبحوا صغار الخراف قبل أن يودي القيظ بحياتها، ثم ساقوا الماشية إلى الجنوب نحو الماء. فعلوا هذا كله في صمت وهدوء، دون أن تبدو من أحدهم شكوى.. قال رئيس القبيلة لم نفقد الشيء الكثير، فقد كنا خلقاء بأن نفقد كل شيء، ولكن حمداً لله وشكراً، فإن لدينا نحو أربعين في المائة من ماشيتنا، وفي استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد)[1].

---

(1) الإيمان والحياة ص132-133.

وهذه الحقيقة أقر بها المفكر الألماني (جيته)، فهو يرى: (أن عقيدة القضاء والقدر عند المسلمين التي تعني أنه لا يصيبهم أمر لم يقدره الله الذي يدبر الأمر بإرادته منذ الأزل - تحملهم على مقاومة صروف الدهر في حياتهم، وهم مستريحون لقضاء الله وقدره...)[1].

وحين يؤمن المسلم بالقضاء والقدر، فإنه يمتثل بذلك لما أمر به القرآن الكريم، قال الله تعالى:

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللـه يَسِيرٌ، لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللـه لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) سورة الحديد /22-23.

وقال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم:

(... إحرص على ما ينفعك، واستعن باللـه، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان

(1) محاضرات في الثقافة الإسلامية للأستاذ أحمد محمد جمال ص12. الطبعة الأولى 1391هـ دار الفكر بيروت. ومكتبة الثقافة في مكة المكرمة.

كذا وكذا، ولكن قل: قدر اللـه وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمـل الشيطان)[1].

ومن دعاء رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قوله:

(اللــهم إني أسـألك الرضـا بعـد القـضاء، وبَـرْدَ العـيش بعـد الموت...)[2].

ولما آمن سلفنا الصالح إيماناً صـحيحاً بهـذه العقيـدة، انقلبـت حالهم راحة وطمأنينة في كـل حـال، فـصار عمـر بـن الخطـاب رضي اللـه عنه يقول:

(لا أبالي على أيها أصبح أو أمسي: على ما أحب، أو على ما أكره لأنني لا أدري أيهما خير لي)[3].

ويقول الحسن البصري:

(لا تكرهوا النقمات الواقعة، والبلايا الحادثة، فَلَرُبّ أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تؤثره فيه عطبك)[1].

---

(1) رواه مسلم في كتاب القدر (باب: في الأمر بالقوة وترك العجز)، وابـن ماجـه في كتاب القدر.

(2) رواه أحمد والنسائي والحاكم.

(3) العقيدة الإسلامية وأسسها للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص802 الطبعة الثانية. دار القلم: دمشق-بيروت.

وربما كان الحسن البصري قد أخذ هذا من قوله تعالى:
(وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللـه يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) سورة البقرة /216.

الإحساس اللاشعوري بالذنب

إذا كان الكثير من المصابين بالأمراض النفسية يشعرون بالقلق الذي ينشأ عن الإحساس اللاشعوري بالذنب، فإن المؤمن قد يتخلص من ذلك القلق لأسباب كثيرة، منها: إنه يراقب اللـه في أقواله وأعماله كلها فتقل أخطاؤه، وهو لا يستجيب للإغراءات التي تدفعه إلى ارتكاب المحرمات بسهولة، فإنه يجاهد نفسه ويجاهدها حتى يتمكن من التغلب عليها.

على أنه حتى لو أخطأ ووقع في الإثم، فإنه يتوب إلى اللـه ويستغفر، وهو يعلم أن اللـه يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات، ويصفح عن الزلات، متذكراً قول اللـه تعالى:

---

(1) القضاء والقدر للأستاذ عبد الكريم الخطيب ص227. دار المعرفة /بيروت.

(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللـه يَجِدْ اللـه غَفُورًا رَحِيمًا) سورة النساء /110.

(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) سورة طه /82.

(قُلْ يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللـه إِنَّ اللـه يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) سورة الزمر /53.

على أن المؤمن يوقن أيضاً: أن الحسنات يذهبن السيئات، وإن الرسول صلى اللـه عليه وسلم يقول: (... واتبع السيئة الحسنة تمحها..)[1].

إن اعتراف المؤمن بما ارتكبه من ذنب، وتوبته منه توبة صادقة، تقيه وتخلصه من فكرة الذنب التي تشغله، وتسبب له ما تسبب من آلام نفسية وتوتر، وتعمل على وقايته من الكبت اللاشعوري بالذنب الذي يسبب القلق وبعض الأمراض النفسية.وهذا – ولا ريب – لون من ألوان العلاج النفسي الذي صار الطب الحديث يستعين به في العلاج. يقول الأستاذ عبد الرزاق نوفل:

(قرر علماء النفس – وعلى رأسهم فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي – أنّ كافة الأمراض النفسية

(1) رواه أحمد والترمذي.

ترجع إلى الكبت الذي يسبب عقداً لا شفاء منها إلا بما يسمونه التحليل النفسي الذي يتم بأن يجلس الإنسان في عيادة الطبيب النفساني، ويعترف أمامه بأخطائه... وهذا الاعتراف يقول عنه الأطباء: إنه صفة منطقية نفسية سلوكية تكشف عن أخطاء المريض، فيراها ويشعر بها، فتحدث مهادنة بين النفس والضمير... فيتسامح الضمير... وإذا ما تسامح الضمير، واستشعر الإنسان العفو منه والصفاء بينه وبين النفس... زالت العقدة النفسية، وعاد الإنسان إلى حالته الطبيعية. هذا والعقد النفسية ليست وهماً، وليس ما تسببه من أمراض وهماً، كما أنّ الألم والظواهر التي تصاحب هذه الأمراض إنما هي أشد من الأمراض العضوية وتماثلها في الأعراض. وكثيراً ما تسبب هذه العقد الصداع واضطرابات القلب وأمراض الضغط العالي وغيرها من الأمراض... وإذا كان علاجها هو الاعتراف بالخطأ أمام الطبيب ليتسامح الضمير... فأي فرق بين الاعتراف أمام اللـه وأمام الطبيب؟ وأي فرق بين غفران اللـه وتسامح الضمير)[1].

---

(1) الإسلام والعلم الحديث للأستاذ عبد الرزاق نوفل ص136-137 الناشر: دار الإسلام في القاهرة، دار

تجارب رائعة

هناك تجارب رائعة قام بها بعض من الأطباء في

الولايات المتحدة الأمريكية حول تأثير ترتيل القرآن الكريم في المرضى مسلمين وغير مسلمين، وسواء أكانوا يعرفون اللغة العربية أم يجهلونها، وما حصل لهؤلاء المرضى من تغيرات نفسية وعضوية (فسلجية).

1- أجرت الجمعية الطبية الإسلامية بمدينة (بنما سيتي) بولاية (فلوريدا) بأمريكا تجربة أجرتها على خمسة أشخاص ليسوا بمسلمين ولا ينطقون بالعربية ثلاثة منهم ذكور، ومتوسط أعمارهم 22سنة وكانت التجربة ما يأتي:

أ- تجارب استماع

1- 85 جلسة استماع لقراءات قرآنية باللغة العربية بطريقة التجويد.

2- 85 جلسة استماع لقراءات غير قرآنية باللغة العربية بطريقة التجويد باختيار اللفظ والصورة والإيقاع، ليكون مشابهاً لما في القرآن.

الكتاب العربي في بيروت.

ب- تجارب صمت

فقد تمت 40 جلسة استرخاء مشابهة لجلسات الاستماع، ولكن بدون تلاوة أي قراءات. ولكن عندما وجد الباحثون أن جلسات الصمت لم تأت بأية نتائج إيجابية على التوتر، تغيّر مسار البحث، وأصبحت المقارنة بين نتائج جلسات الاستماع للقراءات القرآنية وغير القرآنية، مع مراعاة تغيير الترتيب بين القراءات دون إعلام المستمع، وكان معيار النتائج تهدئة النفس، اعتماداً على مؤشرات التغييرات الفسيولوجية الآتية:

1- قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، ودرجة حرارة الجلد والدورة الدموية بالجلد.
2- التيارات الكهربائية بالعضلات التي تعكس ردود الفعل العصبية.
3- عدد ضربات القلب وضغط الدم.
4- الفحص النفسي المباشر.

وجاءت النتائج مؤكدة أن تلاوة القرآن يصحبها تغيرات فسيولوجية ملموسة ولا مجال فيها للإيحاء حيث أشارت النتائج إلى:

1- 65% تأثير إيجابي (تهدئة النفس) في جلسات الاستماع القرآنية[1].
2- 35% تأثير إيجابي (تهدئة النفس) في جلسات الاستماع غير القرآنية[2].

2- مع الجمعية الطبية الإسلامية

نشرت مجلة الجمعية الطبية الإسلامية في شمال أمريكا مقالاً للدكتور أحمد القاضي مدير الطب الإسلامي في (بنما سيتي) في ولاية (فلوريدا) في أمريكا حول (الطب البديل)، فقال تحت عنوان (تطبيق للمعالجة بالقرآن الكريم)[3]:

(1) نقلاً عن كتاب رحلة الإيمان في جسم الإنسان للدكتور حامد أحمد حامد، ص240-241. الطبعة الأولى 1411هـ-1991م. دار القلم. دمشق.
(2) نقلاً عن كتاب رحلة الإيمان في جسم الإنسان للدكتور حامد أحمد حامد، ص240-241. الطبعة الأولى 1411هـ-1991م. دار القلم. دمشق.
(3) نشر المقال في العدد الرابع من المجلد 28 الصادر في الشهر العاشر (تشرين الأول- أكتوبر) سنة 1996 في الصفحتين 164-165. وقد طلبت من أخي الدكتور محمد جميل الحبال أن يقوم بترجمة المقال فترجمه لي مشكوراً.

(وجدنا أن الإصغاء لآيات القرآن الكريم له علاقة مباشرة بتقليل التوترات والانفعالات النفسية، وكذلك له علاقة غير مباشرة – وربما مباشرة أيضاً – لتحفيز الجهاز المناعي للجسم الذي له دور فعال في عملية الشفاء. وهذا التأثير بسماع كلام الله المبارك وآياته يحصل حتى لأولئك المرضى الذين لا يفهمون شيئاً من اللغة العربية، فضلاً عن الذين يفهمونها ويعرفون شيئاً من معاني القرآن! ولكن تأثيره يكون أكثر في الذين يدركون معاني القرآن).

ويشير الدكتور القاضي في مقاله هذا إلى دراسته الأخيرة التي قام بها في هذا الشأن. وقد أشار بها إلى مصادر سابقة لأبحاث نشرت أو ألقيت في مؤتمرات طبية حول هذا الموضوع فيقول:

(توصلنا إلى وجود فائدة كبيرة وتأثير عظيم بمساعدة المرضى للتخلص من أعراض أمراضهم النفسية السلبية التي يعانون منها وقد ثبت علمياً أنها تؤدي إلى تثبيط وتقليل فعالية الجهاز المناعي للجسم. وهذه الأعراض تكون دائماً متلازمة مع الأمراض المزمنة والمستعصية. وهذا الجانب من الشفاء بوساطة سماع القرآن الكريم له دورٌ إيجابي في تقوية وتنشيط الجهاز المناعي للجسم. وهو يساعد بدوره على التغلب على هذه الأمراض).

3- التأثيرات الفسلجية للقرآن على الإنسان

قال الدكتور أحمد القاضي في بحث له نشر في مجلة (الجمعية الطبية الإسلامية) في شمال أمريكا وألقي في مؤتمرات طبية عديدة تحت عنوان (التأثيرات الفسلجية للقرآن على الإنسان) ما خلاصته:

إن للقرآن الكريم تأثيراً علاجياً فهو (شفاء) كما ورد في القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى:

(وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) سورة الإسراء/82.

ولكن كيف تكون آيات القرآن (شفاءاً)؟ هل هو تأثير نفسي روحي، أم هو تأثير عضوي فسلجي؟

والحقيقة أنه مزيج من هذا وذاك فهو (شفاء) روحي وعضوي. ولمعرفة ذلك قمنا بدراسة التغيرات الفسلجية المهمة على جسم الإنسان أثناء سماعه القرآن الكريم على مجموعة من الأشخاص الأصحاء أولاً، ومجموعة من المرضى ثانياً. وقد قمنا بوصلهم بأجهزة ذات تقنيات عالية لقياس المتغيرات الفسلجية الآتية:

1- جهـاز PPG لقيـاس Vasomotor Responses مـن خلال قياس درجة حرارة الجلد والتغذية الدموية فيه.
2- جهاز Skin conductivity EDR لمعرفة نشاط الغدد الدرقية للجلد ونسبة التعرق فيه.

جهاز EMG لقياس درجة ارتخاء وتقلص العضلات في الجـسم. وكل هذه الانعكاسات الفسلجية المدروسة هي مؤشرات حول تـأثير العلاج بالقرآن على نشاط الجهاز السمبثاوي والبراسمبثاوي والجهـاز العصبي المركزي لأجهـزة الجـسم المختلفـة. وقـد توصـل البحـث في نتائجه الأولية إلى وجود تغيرات فسلجية مفيدة، لها تأثير إيجابي لـه علاقة بعملية الشفاء، وتساعد في سرعته.

إن أهميـة هـذه الطريقـة هـي لتزويـدنا بتوثيقـات علميـة فسلجية تثبت أن تأثير قراءة القرآن وسـماعه يمكـن الإفـادة منـه في العملية العلاجية[1].

(1)

1- Documentation of Physiological effects of the quran in man utilizing Biofeedback

وبعـد

فإن المجتمعات الغربية ليست كمجتمعاتنا من حيث التقدم العلمي، ورخاء العيش والغنى، لكنها لما أعرضت عن منهج الـلـه، أصابها ما أصابها من أمراض نفسية قاتلة، تركتها تتقلب على جمر الغضى، ولم تجد لحياتها طعماً – وهي ترفل بكل ألوان اللذائذ المادية- لقد التمسته في الحياة المادية فأخفقت. وكمثال على ذلك (السويد) فإن الدولة فيها قد ضمنت لكل فرد ما يكفيه من الإعانات: فلا تكاد تجد فرداً فيها يخاف على نفسه من الفقر عند الشيخوخة أو البطالة. ومع ذلك فإن الأمراض النفسية قد ازدادت فيها زيادة مذهلة، حتى صار 25% من الشعب السويدي مصاباً بالأمراض النفسية والعصبية. ومع أن دخل الفرد السويدي من أعلى الدخول في العالم، فإن 40% منه ينفق في معالجة تلك الأمراض، ولم يجدوا مهرباً ليتخلصـوا من هذه

---

monitoring techniques. By Dr. Ahmed – Al-kadhy.

Health and Healing in the Quran. By Dr. Ahmed Al-kadhy.

الحياة القاسية إلا بالانتحار الذي تقترفه أعداد كثيرة من الناس هناك، هرباً مما أصابهم من عذاب نفسي عظيم.

ولا يظنن أحد أن (أمريكا) مع ما فيها من الغنى الواسع والحياة المترفة قد تخلص الناس فيها من حياة القلق والضياع، فإن مفكريها يعلنون ما يعانيه الناس من ذلك على رؤوس الأشهاد. فيقول الأستاذ (كولن ولسون):

(إن الحياة في نيويورك غطاء جميل لحالة من التعاسة والشقاء)[1].

وتقول الأديبة الفرنسية (فرانسوا ساجان) وقد زارت أمريكا:

(إن نيويورك ثقيلة الوطأة على الإنسان)[2].

ألا ما أحوجنا إلى التمسك بمنهج الله ليرأب صدعنا، ويداوي سقمنا، ويخلصنا من أمراض فتاكة تركت صرعاها يتقلبون على جمر الغضى، ويرتمضون أسى! وليس سوى هذا الدين يملك إنقاذ التائهين في دياجير الظلام، والضالين في جنباتها. وليس سوى هذا الدين بقادر على إحياء ما مات في

(1) الإيمان والحياة، ص76.

(2) الإيمان والحياة، ص76.

نفوسنا، وما فقدناه من عناصر الطمأنينة وراحة النفس..

إنه الإسلام وكفى يمد الإنسان بكل سبب من أسباب السـعادة، وصدق الـلـه العظيم القائل:

(يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا اسْـتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُـولِ إِذَا دَعَـاكُمْ لِـمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الـلـه يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) سورة الأنفال/24-25.

وصدق الـلـه العظيم

إبراهيم النعمة

المحتوى